معركة التمثيل الفلسطيني

بدأ العمل، بعد وقف الحرب، لابراز الأردن كمفاوض مع اسرائيل حول التسوية واستعادة الأراضي الفلسطينية، تحت شعار «فك الارتباط» الذي بدأ التداول حوله على الجبهة المصرية، وافتتحت بذلك مع المنظمة معركة شرعية تمثيل المنظمة السياسي للفلسطينيين. وكسبت المنظمة تلك المعركة في ظل حشرة الدول العربية بعد الحرب مباشرة، حيث الأمل في الوصول السريع إلى التسوية مع اسرائيل نتيجة «لصدمة الحرب» لم يتحقق «ان انسحاب اسرائيل كان سيؤدي الى احلال السلام، ولكانت المنظمة انتهت... وصدقني انني ارى احياناً أننا محظوظون لأن الاسرائيليين هم اعداؤنا: اذ انهم انقذونا في مرات كثيرة»[٣٧]. ومن المُستغرب أن يتفق الحكام العرب على جعل مقررات مؤتمر قمة الجزائر سرية. تلك المقررات التي ليست إلا اهداف سياسية معلنة في خطابات الرؤساء والملوك العرب. فلماذا سريتها؟ الواقع أن الحكام العرب أرادوا ابقاء الاعتراف بأن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني امراً سرياً كي يستطيعوا التنصل منه، اذا سارت تسويتهم مع اسرائيل كما يبغون، وابرازه للضغط عليها، اذا تعثرت تلك التسوية. وليس هناك تفسير آخر لسرية ذلك القرار، خاصة أنهم كانوا قد شاركوا في مؤتمر دول عدم الانحياز في الجزائر نفسها قبل شهر من القمة العربية آنفة الذكر، واعلنوا فيه، مع الدول الأخرى، وحدانية تمثيل المنظمة[٣٨].

لعب النظامان المصري والسوري، الدور الأساسي في ادارة معركة التمثيل الفلسطيني، فتارة كانا يتبنيان الأردن باعتباره الطرف المشارك في التفاوض، وتارة أخرى يتبنيان منظمة التحرير باعتبارها صاحبة هذا الحق على أساس مقررات قمة الجزائر، وطوراً آخر يدعوان كلاً من المنظمة والاردن الى ايجاد صيغة للتنسيق فيما بينهما حول مسألة التمثيل تحت ذريعة أن المهم هو استعادة الأرض من اسرائيل. ففي بيان مصري ـ اردني مشترك صدر في ١٨/٧/١٩٧٤ جاء ان «الطرفين اتفقا على ضرورة اجراء تنسيق مستمر ومنتظم بين جمهورية مصر العربية والجمهورية العربية السورية والمملكة الأردنية الهاشمية ومنظمة التحرير الفلسطينية... وقد أعلن الجانبان أن منظمة التحرير هي الممثل الشرعي للفلسطينيين باستثناء الفلسطينيين المقيمين في المملكة الأردنية الهاشمية... كما اتفق الجانبان على ضرورة التوصل إلى اتفاق لفك الارتباط على الجبهة الأردنية كخطوة أولى نحو الحل السلمي العادل»[٣٩]. وفي حديث للرئيس السادات مع بعض قادة المقاومة الفلسطينية قال: «بالنسبة للأردن، أنا شخصياً مؤمن بسياستي مع الملك حسين... وسوف ننسق الموقف بالكامل مع سوريا... وأنا أعلم حقيقة مشاعركم، وأعلم أن ذلك قد يثير حفيظتكم، ولكنني اؤكد أننا ملتزمون بكم... اما عن المطلوب منكم، من وجهة نظري في هذه المرحلة، فهو **المرونة** [التشديد من عندنا]».

«دعوني والرئيس الأسد نحل هذه العقدة بالطريقة التي تجعل الموقف العربي ازاء العدو في اقوى حالاته، والتي تؤكد انكم مسؤولون وممثلون للأرض والانسان الفلسطيني»[٤٠]. بمعنى، اتركوا للحكام العرب ثانية أمر قضيتكم.

وكان الملك حسين قد أعلن في خطاب له في ١/٢/١٩٧٣ قائلاً: «فيما يتعلق بالأراضي